لماذا تعفو؟

تأليف

أبي حمزة

عبد اللطيف بن هاجس الغامدي

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية

www.ktibat.com



يا من قُتل حبيبه..

يا من سلب ماله..

يا من أهدرت حقوقه..

يا من أوذي في بدنه وعرضه..

يا من امتدت إليه يد القهر الآثمة..

يا من قست عليه قلوب ظالمة..

يا أيها المظلوم.. والمحروم.. والمقهور..

تأمل في قول العفو الغفور:

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

[آل عمران: ١٣٣، ١٣٤]

ثم اصنع ما تشاء، فقد استبانت لك الطريق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله غافر الذنب، قابل التوب، ماحي الحوب، واسع المغفرة، والصلاة والسلام على رسول الله، أرحم الخلق بالخلق، وألطف الناس بالناس، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، رحمته سبقت غضبه، وحلمه أعجل من عقوبته، وعفوه أقرب من مؤاخذته، فهو الكريم الرحيم، واللطيف الحليم، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، رحمة الله المرسلة، ومنة الله المنزلة، أما بعد:

ما أطيب العفو!

وما أجله وأجمله!

فالعفو يسلُّ سخائم القلوب، ويذهب بوحر الصدور، ويطفئ لفحات الخصومات، ويداوي القلوب المجروحة، ويعالج الأكباد المقروحة، ويحيل الاختلاف إلى ائتلاف، ويستبدل البغض بالمحبة، والتشرذم بالتأقلم، والانقسام بالانسجام، والقطيعة بالوصال.

والله سبحانه سمى نفسه بالعَفُوِّ الغفور، ووصف نفسه بأنه أهل التقوى وأهل المغفرة، فهو يحب العفو، ويأمر به، ويرغب فيه، ويثيب عليه.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ...﴾ **[الشورى: ٤٠]**.

يعطي الحقوق لأصحابها، ويعيد الأمور لنصابها، لكمنه يرغب في صفة الفضل فوق العدل، ويحث على الرقة والرحمة قبل المعالجة بالغضب والتقمة، ويندب للتصالح والتسامح، ويحذر من التقابح والتفاضح.

قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ **[الأعراف: ١٩٩]**.

والمرء ما دام في دنيا الكمد والنكد، فلا بد له من أن يتعرض للأذى في دينه أو نفسه أو ماله أو عرضه، أو غير ذلك مما قدره الله عليه، ليبتليه!

ومن عاش بين الناس لم يخل من أذى
مما قال واش أو تكلم حاسد

وهنا تأتي أهمية العفو والصفح من ذوي الخلق الكريم، والطبع الرحيم لمن تعدى عليهم أو تعرض بالأذى لهم، وهذه الرسالة دواء للقلوب المفجوعة، والنفوس الموجوعة التي عضَّها الظلم بنابه، ونهشها الجور بمخلبه، ونطحها الأذى بقرنه، أرسلها – مع بريد المودة – لكلِّ الأحبة الذين فاضت أعينهم حينًا من الدهر بدمع القهر؛ لنمسح تلك العبرة، فيستحيل الحزن إلى فرح، والقسوة إلى لين، والجرح إلى براء وشفاء بإذن رب الأرض والسماء.

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ **[الرعد: ١٧]**.

ومن الله المدد، وعليه المعتمد، وإليه المرد، وعلى بركة الله تمضي قافلة العفو، فبسم الله مجراها ومرساها.

لمــاذا تعفــو؟!

لأن الله تعالى يحب العفو، أفلا تحب ما يحب الله تعالى؟!

فعن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى عفو، يحب العفو**»(١).

وإذا أعطاك مولاك ما تحبُّ من التمكين، والنصرة على خصمك، والقدرة على إيقاع العقوبة به والانتقام منه، أفلا ترد الإحسان بالإحسان، فتتقرب إلى الله تعالى بما يحب منك من العفو والصفح والإحسان، فالله يحب العافلين عن الناس، ويحب المحسنين؟!

أتي عبد الملك بن مروان بأسارى ابن الأشعث فقال لرجاء بن حيوة: ما ترى؟ قال: إن الله تعالى قد أعطاك ما تحب من الظفر، فأعط الله ما يحب من العفو، فعفا عنهم (٢).

فلم لا تكون منهم؟!

فالعفو من كرائم الفعال، وعظائم الخصال، ومحامد الخلال..

عن سعد بن أبي وقاص ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله كريم يحب الكرماء، جواد يحب الجودة، يحب معالي الأخلاق، ويكره سفسافها**»(٣).

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، انظر: صحيح الجامع (١/٣٦٦) (١٧٧٩).
(٢) إحياء علوم الدين — الغزالي (٣/١٩٦).
(٣) رواه ابن عساكر والضياء في المختارة، انظر: صحيح الجامع (١/٣٧٠) (١٨٠٠).

وتعفو – عفا الله عنك – لأن محمدًا ﷺ رسولك وحبيبك، وأسوتك وقدوتك، أمر به، ورغب، فيه، وحث عليه، وكان سابقك إليه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما أتي النبي ﷺ في شيء فيه قصاص، إلا أمر فيه بالعفو [(١)].

فهل تستجيب للحبيب؟!

لماذا تعفو؟!

ليعفو الله تعالى عنكم ذنوبكم، ويمحو سيئاتكم، فكم اجترحنا جميعًا من الذنوب، وعملنا من السيئات، وفعلنا من العظائم، فمستقل منا ومستكثر، فالعصمة منها أمر متعذر، فكم نرغب إلى الله تعالى أن يعفو عن ذنوبنا، ويتجاوز عن سيئاتنا، ويعاملنا بكرمه وعفوه وفضله!

وكم نستجير به أن لا يعاملنا بعدله وبما نستحق من العقوبة، وإلا لكنا من الهالكين!

قال تعالى: ﴿... وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ **[النور: ٢٢]**.

فاعفُ؛ ليعفو الله عنك، وتجاوز؛ ليتجاوز عنك، وسامح؛ ليسمح لك..

---

(١) صحيح سنن النسائي (٣/٩٩١) (٤٤٥٢).

فعن جرير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لا يَرحم لا يُرحم، ومن لا يَغفر لا يُغفر له، ومن لا يَتُبْ لا يتب عليه**»(١).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**ارحموا ترحموا، واغفروا يغفر لكم**»(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**اسمح؛ يسمح لك**»(٣).

وعن معقل بن يسار ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الإيمان الصبر والسماحة**»(٤).

قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤].

وإذا أخذ كل واحدٍ منا حقه، فمن بقي للمكارم والعظائم؟!

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من الناس مفاتيح للخير، مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر، مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه**»(٥).

فأَطِعْ الله فيمن عصاه فيك!

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، انظر: السلسلة الصحيحة (١/٧٩٢) (٤٨٣).
(٢) رواه أحمد، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢/٦٤١) (٢٤٦٥).
(٣) رواه أحمد، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢/٣٢٧) (١٧٤٩).
(٤) رواه الديلمي، انظر: السلسلة الصحيحة (٣/٤٨٢) (١٤٩٥).
(٥) صحيح سنن ابن ماجه (١/٤٦) (١٩٤).

أَسْمَعَ رجلٌ أبا الدرداء ﷺ كلامًا، فقال: يا هذا، لا تُغرقَنَّ في سَبِّنا، ودَعْ للصلح موضعًا، فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله عز وجل فيه [1].

فهبني مسيئًا كالذي قلت ظالمًا ... فعفوا جميلاً كي يكون لك الفضل

فإن لم أكن للعفو منك لسوء ما ... أتيت به أهلاً فأنت له أهل

لماذا تعفو؟!

لتكون عزيزًا بين الناس، شامخ الرأس، طيِّب الذكر، حسن السيرة، نقيَّ السريرة، تُعرف بالمعروف، وتُذكر بالخير، وتشهر بالسماحة، وتنادى بالكريم.

وتكون لك من المكانة في قلوب الناس ما تعلو به في الدنيا فوق الرؤوس، مع ما يدخر لك من الثواب والأجور والكرامة في يوم القيامة.

فالعفو عز ومنعة، وسموٌّ ورفعة، وعلوٌّ ومنزلة في الدنيا والآخرة.

فعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا، وما تواضع أحد الله إلا**

(1) أدب الدنيا والدنيا – الماوردي – ص229.

رفعه الله»[١].

وعن أبي كبشة الأنماري ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ثلاث أقسم عليهن، وأحدثكم حديثًا فاحفظوه. ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزًا، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر...**»[٢].

فلا تلتفت لمن يزعم بجهله أن العفو ذلة، والصفح مهانة، والسماحة دناءة، فذلك من مرضى القلوب، ذوي الرواسب الجاهلية الذي أعماهم الحقد، وأرداهم حبُّ الانتقام، وأهلكهم الكبر والاستعلاء فكانوا من الخاسرين.

فإن تأخذ بحقك فلك نظراء وأمثال، وإن صفحت الصفح الجميل لم يكن لك من النظراء إلا القليل!

قال تعالى: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥].

ذنبي إليك عظيم — وأنت أعظم منه
فخذ بحقك أولا — فاصفح بعفوك عنه
إن لم أكن في فعالي — من الكرام فكنه

لماذا تعفو؟!

(١) صحيح مسلم (٤/١٥٨٨) (٢٥٨٨).

(٢) صحيح سنن الترمذي (٢/٢٧٠) (١٨٩٤) وصحيح سنن ابن ماجه (٢/٤٢٢٨).

لتنال الأجور العظيمة، والمنح الكريمة التي أعدها الله للعافين عن الناس الذين انتصروا على أنفسهم، وترفعوا عن حظوظ ذواهم، فأشرق العفو بنوره الوضاء من بين نوازع النفس المظلمة التي تميل لأخذ حقوقها، وتنزع للانتقام لنفسها، وتركن للثأر لكرامتها.

فعن عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من رجل يجرح في جسده جراحة، فيتصدق بها، إلا كفر الله عنه مثل ما تصدق به**»[(١)].

وعن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**من أصيب بشيء في جسده، فتركه لله عز وجل كان كفارة له**»[(٢)].

ولا يمنح الفضل إلا أولو الفضل، ولا يهدي للعفو إلا خواص الناس، ونزاع القبائل، وأفذاذ الرجال، وأصحاب الهمم العالية، والنفوس الكريمة، والقلوب الرحيمة.

قال تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بخيركم من شركم؟ خيركم من يرجى خيره، ويؤمن شره، وشركم من لا يرجى خيره، ولا يؤمن شره**»[(٣)].

والعافون عن الناس يحسنون لأنفسهم قبل غيرهم، فهم يعيشون

(١) أخرجه أحمد في المسند، انظر: السلسلة الصحيحة (٥/٣٤٣) (٢٢٧٣).
(٢) رواه أحمد، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢/٦٤٠) (٢٤٦١).
(٣) صحيح سنن الترمذي (٢/٢٥٦) (١٨٤٥).

في أطيب حال وأهنأ بال، ضمائرهم مرتاحة، وسرائرهم مستقرة، فالخطأ في العفو خير من الخطأ في العقوبة.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قتل رجل على عهد رسول الله ﷺ فرفع ذلك إلى النبي ﷺ فدفعه إلى ولي المقتول. فقال القاتل: يا رسول الله، والله، ما أردت قتله. فقال رسول الله ﷺ للولي: «**أما إنه إن كان صادقًا ثم قتلته، دخلت النار**» قال فخلى سبيله، وكان مكتوفًا بنسعة، فخرج يجر نسعته، فسمي ذا النسعة [(١)].

لماذا تعفو؟!

لتدخل السرور والانشراح على قلوب محبي الخير وأهل الصلاح، ولتحقق مطامع الأخيار فيك، فأنت – بعد الله تعالى – محطُّ نظرهم، ومرتكز أملهم، ومحور طمعهم، فلا تُخيِّب الرجاء فيك، ولا تحرم أهل الفضل منك، فإن الطير لا يقع إلا على الحبِّ، ولا تهبط النحلة إلا حول الرحيق، ولا يرجى الخير إلا من معدنه، ولا يُبتغى الفضل إلا من مكمنه، ولا يستنجد إلا بالفحول، وإنما تغشى بيوت الكرماء.

لقد رجوتك دون الناس وللرجاء حقوق كلها تجب
إن لم يكن لي أسباب أعيش ففي العلا لك أخلاق هي

(١) صحيح سنن الترمذي (٢/٥٨) (١١٣٥) وصحيح سنن ابن ماجه (٢/١٠٧) (٢١٧٩).

فكن كالنخلة الباسقة، ترمى بالحجارة، فتسقط رطبًا جنيًا، وكالجبال الشامخة، تقذف بالحصى، فتزداد قوة وثباتًا، وتنتج الثمرة والنبات.

فلا تقبض يدك عن خير تبذله، فإن أعظم المصائب عند الكرام أن يبلخوا!

أتى سائل سفيان بن عيينة، فلم يكن معه ما يعطيه، فبكى، فقيل: يا أبا محمد! ما الذي أبكاك؟ قال: أي مصيبة أعظمُ من أن يؤمِّل فيك رجل خيرًا فلا يصيبه [(١)].

وقال حكيم بن حزام ﷺ: ما أصبحت وليس ببابي صاحب حاجة، إلا عملت أنها من المصائب التي أسأل الله الأجر عليها [(٢)].

وأهل المعروف بالدنيا هم أهله يوم القيامة، فعن قبيصة بن بزمة الأسلمي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وأن أهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة**»[(٣)].

وليس حليمًا من يقبل كفه فيرضى ولكن من يعض

لماذا تعفو؟!

(١) وفيات الأعيان – ابن خلكان (٢/٣٩٣).
(٢) سير أعلام النبلاء – الذهبي (٣/٥١).
(٣) صحيح الأدب المفرد (١/١٠٠) (١٦٣).

لتقطع الطريق على مشعلي الفتن، ومثيري الأحقـــاد، وموقـــدي العداوات، الذين يصطادون في الماء العكر، ويكدرون الماء؛ ليمعنـــوا في الاختباء، ويقطعوا حبل السِّقاء ليحرموا العطاشى من متعة الرواء.

فإن من الناس ناسًا لا يستنشقون إلا دخـــان الخلافـــات، ولا يرتوون إلا من دماء الضحايا، ولا يهنـــؤون إلا برؤيـــة البؤســـاء والأشقياء من كل جانب.

فيجمل منهم القول ويقبح العمل، لأنهم يرتدون لباس الحمل، وهم أغدر من ذئب وأروغ من ثعلب، ويلين ملمسهم كالأفاعي، وفي تقلبهم الردى والعطب، فهم ينكـــؤون في الجـــراح بمخلـــب الإثارة، ويوقدون – بتلميحهم وتصريحهم – لفحات اللهب مـــن أصل الشرارة، فهم جند إبليس، وخدم الشيطان، يقومون بـــدوره، ويؤدون رسالته، ويكفونه هم مهمته، بالتحريش والتحريض ونشر الفساد بين العباد.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أحبكم إلي؛ أحاسنكم أخلاقًا، الموطؤون أكنافًا، الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إلي؛ المشّاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة؛ الملتمسون للبراء العيب**»[1].

فلا تفتح لهم الباب، ولا تكن لهم أذن، فإن من نم لك، يـــنم

(١) رواه الطبراني في الصغير والأوسط، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٣/١٣) (٢٦٥٨).

عليك، ومن يسعَ في أذى غيرك، فسيبدأْ بك.

لمـــاذا تعفـــو؟!

لتفرج عن مكروب ضاقت به السبل، ومنكوب أعيته الحيـــل، ومغموم تعلقت آماله – بعد الله – عليك، ومهموم أنزل حاجته – بعد الله – بساحتك، فهو يلتمس رضاك بعد خطئه، وعفوك عقب جنايته، وصفحك خلف إساءته، وتسامحك إثر ما جنته يداه ومـــا أوقعه فيه شيطانه وهواه.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من نفس عـــن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يـــوم القيامة...**»[1].

فمن يفرج عنه – بعد الله – غيرك؟!

ومن يسامحه – بعد مولاه – سواك؟!

فاكشف ما به من أحزان، وارفع ما نزل بحياتـــه مـــن الآلام، وأزل ما حشرج به صدره من غصص، وأمط عنه ما غشـــيه مـــن كمد ونكد، فهو مذنب تائب، ونادم معذب، فكيـــف تتركـــه في وحشته للعذاب، كالتائه في الصحراء اليباب، والضـــال في الأرض الخراب؟!

يأبى عليك إيمانك وإحسانك، وتعترض عليك رحمتك ورقتك، ويحول بينك وبين عقوبته لطفك وعطفك وطبعك وحنانك.

---

(١) صحيح البخاري (٣/١٣٧) (٢٤٤٢) وصحيح مسلم (٤/١٦٤٧) (٢٦٩٩).

فطب نفسًا بما غرست من بذور السعادة في أرضهم، لتقطف ثمرة الشكر من حقلهم!

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة..**»[١].

وعن ابن المنكدر رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أفضل العمل إدخال السرور على المؤمن، تقضي عنه دينًا، تقضي له حاجة، تنفس له كربة**»[٢].

وضع نفسك مكانه، وانظر ماذا ترى؟!

واحمد الله الذي ابتلى غيرك بما حماك منه، ونجاك مما أوقعه فيه، وكن عطوفًا لطيفًا، فكسر القلوب لا ينجبر!

لماذا تعفو؟!

لتكيد عدوك الذي يستثمر في خطأ أخيك؛ ليوقع بينك وبينه العداوة والبغضاء، والقطيعة والهجران.

وأي عدو أعدى من الشيطان؟!

إنه يواصل مكر الليل والنهار، ويمتطي كل مركب، ويعتلي أي موجة، ويتزيى بكل لون يوصله لمبتغاه من بث بذور الفتنة بين

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير وابن عساكر في التاريخ، انظر: السلسلة الصحيحة (٦٠٨/٢) (٩٠٦).

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب انظر: السلسلة الصحيحة (٣٦٥/٥) (٢٢٩١)

المؤمنين، وإشعال فتيل العداوات بين المسلمين، ليتشتت الشمل، ويتفرق الصف، وتضعف الكلمة.

قال تعالى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾ [الإسراء: ٥٣].

فهو يرابي في الأخطاء، وينفخ في الزلل، ويكاثر في الخلل؛ ليفسد بين الأحبة، ويقطع حبل المودة، فارجمه بحجارة العفو؛ لتدفنه في حفرة المكيدة التي حفرها؛ ليوقعك بها.

جاء غلام لأبي ذر رضي الله عنه وقد كسر رجل شاةٍ له، فقال له: من كسر رجل هذه؟ قال: أنا فعلته عمدًا لأغيظك، فتضربني، فتأثم. فقال: لأغيظن من حرضك على غيظي، فأعتقه(١).

وجاء رجل إلى الفضيل بن برزوان رحمه الله فقال: إن فلانا يقع فيك، فقال: لأغيظن من أمره، يغفر الله لي وله، قيل: من أمره؟ قال: الشيطان(٢).

فهو من أوقع أخاك في خطئه، فكده بعفوك عنه؛ ليموت الشطيان من كمده.

---

(١) مختصر منهاج القاصدين – ابن قدامة المقدسي – ص(١٩٠).
(٢) الزهد والرقائق – ابن المبارك – ص (٢٣٤) رقم (٦٧٠).

لمـــاذا تعفـــو؟!

لتكون من أصحاب القلوب الرحيمة، والنفـــوس العظيمـــة، والأيادي الكريمة، لا تنال منك الأحقـــاد، ولا تحمـــل في قلبـــك الضغائن، ولا تنهش في طهرك المواجع.

فأنت صاحب قلب حي ينبض بالحب للمـــؤمنين، وتشـــرق نفسك بالحنو على المسلمين، وتفيض يدك بالعطاء للمتعرضين.

وهل أجمل من قلب هين لين رحيم حليم؟!

فعن عياض بن حماد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال**»(١).

وعن أبي عنبة الخولاني ﷺ قال: قال رســـول الله ﷺ: «**إن لله آنية من أهل الأرض، وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين، وأحبها إليها ألينها وأرقها**»(٢).

وكأنما تريد أن تقول للضغائن، إليك عني، فلا أنا منـــك، ولا أنت مني، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الناس كل مخموم القلب، صـــدوق اللســـان**». قالوا: صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب؟ قال: «**التقي النقي، لا إثم فيه، ولا بغي، ولا غلّ، ولا حسد**»(٣).

---

(١) صحيح مسلم (٤/١٧٤٢) (٢٨٦٥).
(٢) أخرجه الطبراني في الكبير، انظر: السلسلة الصحيحة (٤/٢٦٤) (١٦٩١).
(٣) صحيح سنن ابن ماجه (٢/٤١١) (٣٣٩٧).

فلا يكن قلبك من القلوب القاسية، فإنها من أعظم المصائب!

فعن عمرو بن حبيب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خاب عبد وخسر لم يجعل الله تعالى في قلبه رحمة للبشر**»(١).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تنزع الرحمة إلا من شقي**»(٢).

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لا يرحم الناس لا يرحمه الله**»(٣).

لماذا تعفو؟!

لتقطع دابر الفتنة، وتردم مستنقع المحنة، فتقتلها في مهدها، وتدفنها في لحدها، فلا يبقى لها أصول تنبت الفروع، بل تجتثها بالعفو من جذورها، فلا تتعاقبها الأجيال من بعدك، ولا يتوارثها النسل من خلفك، فالعفو يطفئ وهج المشكلات والإحن، ويخمد لهيب القلاقل والمحن، ويبقى لك به عز الدهر، وفخر العمر، وشرف الذِّكر، وتملأ به خزائن الأجر.

---

(١) أخرجه الدولابي وابن عساكر في تاريخ دمشق، انظر: السلسلة الصحيحة (١/٧٤٠) (٤٥٦).

(٢) صحيح سنن الترمذي (٢/١٨٠) (١٥٦٨).

(٣) صحيح سنن الترمذي (٢/١٨٠) (١٥٦٧).

وبالعفو تصل ما انقطع من وشائج، وتصلح ما تـردى مـن علاقات، وتعيد المياه لمجاريها لروابط تكدرت بالـذنب سـواقيها، بخلاف الانتقام للنفس، والثأر للحقوق، فإنه يزيـد في القطيعـة، ويتسبب في الهجران، ويؤول بذوي الأواصر إلى التدابر.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**تفتح أبـواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بـالله شيئًا إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أَنْظِروا هذين حتى يصطلحا**»(١).

وعن أبي أيوب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل لمسـلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان فيصد هـذا ويصـد هـذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**»(٢).

وعن أبي خراش السلمي ﷺ أنه سمع رسـول الله ﷺ يقـول: «**من هجر أخاه سنة، فهو كسفك دمه**»(٣).

وعن هشام بن عامر الأنصاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل لمسلم أن يصارم مسلمًا فوق ثلاث؛ فإنهما ناكبان عـن الحق ما داما على صرامهما، وإن أولهما فيئًا يكون كفارته عنـد سبقه بالفيء، وإن ماتا على صرامهما لم يدخلا الجنة جميعًا أبـدًا، وإن سلم عليه فأبى أن يقبل تسليمه وسلامه، رد عليـه الملـك، ورد على الآخر الشيطان**»(٤).

---

(١) صحيح مسلم (١٥٧٧/٤) (٢٥٦٥).

(٢) صحيح البخاري (١٦٦/٧) (٦٢٣٧).

(٣) صحيح سنن أبي داود (٩٢٨/٣) (٤٠١٧).

(٤) صحيح الأدب المفرد ص (١٥٨) رقم (٣١١).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار**»(١).

وعن فضالة بن عبيد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من هجر أخاه فوق ثلاث فهو في النار، إلا أن يتداركه الله برحمته**»(٢).

لماذا تعفو؟!

لتكون من ذوي الأخلاق الطيبة، والخلال الحميدة، والصفات المجيدة، لا تحب الانتقام، ولا تعشق القسوة، ولا تميل للغلظة، ولا تركن للفظاظة والجفاء، فطبعك يميل للسماحة والصفح، ونفسك تتطلع للعفو والصلح، لأنك لين الجانب، سهل العريكة، قريب المنال، وتلك منازل العظماء، ورتب الشرفاء، ومدارج السالكين لرب العالمين.

فعن جابر رضي الله عنهما، وابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار غدًا؟ على كل هين، قريب سهل**»(٣).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمنون هينون لينون، مثل الجمل الألف الذي إن قيد انقاد، وإن سيق انساق، وأن أنخته على صخرة استناخى**»(٤).

---

(١) صحيح سنن أبي داود (٣/٩٢٨) (٤٠١٦).
(٢) رواه الطبراني، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٣/٥١) (٢٧٦١).
(٣) صحيح سنن الترمذي (٢/٣٠٤) (٢٠٢٢).
(٤) أخرجه العقيلي في الضعفاء وغيره، انظر: السلسلة الصحيحة (٢/٦٤٦) (٩٣٦).

وضع نفسك مكانه، وافعل به ما تحب أن يفعله بك، واصنع له ما ترضاه لنفسك، وهل ينفعك أن يعذب الله أخاك بسببك؟!

قال تعالى: ﴿ إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ [النساء: ١٤٩].

لماذا تعفو؟!

لتنال مقام الصابرين، الذين يصبرون على الضراء والمحن، والبلايا والفتن، ويفوضون الأمر لله من قبل ومن بعد، ويسلمون أمرهم لربهم في رضا وقناعة، وصبر وطاعة، يحدوهم الإيمان بالقضاء، ويربط على قلوبهم التسليم لله الحليم الكريم العظيم الحليم؛ لأنهم يرجون فضله، ويلتمسون جوده، ويرغبون في عطائه، ويُؤمِّلون في رحمته ومنته.

فاغمس مرارة الألم والضر في حلاوة الثواب والأجر؛ لتنال مراتب الصابرين.

قال تعالى: ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [الشورى: ٤٣].

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «... **ومن يصبر يصبره الله، وما أعطي أحد من عطاء خير وأوسع من الصبر**»(١).

(١) صحيح مسلم (٢/٦٠١) (١٠٥٣).

وتأمل في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ **[الزمر: ١٠]**. وأبشر بالثواب، فأنت تتعامل مع من له ميراث السماوات والأرض، وهو أكرم من أعطى، وأجود من بذل، وأوفى من وعد.

فاعفُ عمن ظلمك، وأعط من حرمك، واصفح عن من تعدى عليك، فأنت الرابح للأجر، والفائز بالنوال، والحائز على درجات عظمى في الكمال.

فعن عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**صل من قطعك، وأَعْطِ من حرمك، واعفُ عمن ظلمك**»(١).

وعن علي بن أبي طال ﷺ قال: لما ضممت إلي سلاح رسول الله ﷺ وجدت في قائم سيف رسول الله ﷺ رقعة فيها: «**صِلْ من قطعك، وأحسن إلى من أساء إليك، وقل الحق ولو على نفسك**»(٢).

ولا تحرم نفسك الخير، فلذة العفو أعذب من لذة التشفي.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في أخبار أصبهان، انظر: السلسلة الصحيحة (٥٨٢/٢) (٨٩١).

(٢) رواه أبو عمرو بن السماك في حديثه، انظر: السلسلة الصحيحة (٥٤٢/٤) (١٩١١).

لمــاذا تعفــو؟!

لتقتدي بخير الورى، وأفضل مَن خَطَّ الخُطى فوق الثــرى ﷺ الذي أوذي في الله أشد الأذى، وناله من صنوف البلايــا وأنــواع الرزايا ما يفوق الوصف، ويربو فوق الخيال، وهو الذي جــاءهم بالخير من ربهم؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وليســوقهم إلى ربهم سوقًا جميلاً.

فقد وضعوا سلى البهائم فوق رأســه، ودســوا الســم في طعامه، وهموا بقتله بردمه بالحجارة من فوقه، وإلقائه من فــوق راحلته، وأدموا عقبيه بالحجارة، وحاصروه في الشعب، وخنقوه حتى كادوا يقتلوه، ورموه بكل باقعة من الســحر والكــذب والجنون وغير ذلك من المثالب، وقتلوا أصــحابه بــين يديــه، وطعنوا بخنجر الغدر أحب الناس إليه، وأخرجوه من بلده الذي درج فيه، ولو لم يكن في سجلات أخطائهم إلا ما فعلوه بأسد الله وأسد رسوله ﷺ حمزة بن عبد المطلب ﷺ لكفى، فقد قتلوه غيلةً، ومثلوا بجسده، وأكلوا من لحمه، ولاكوا كبده، وشــربوا الخمر في تجاويف جمجمته.

فما أوذي بشر في الله كما أوذي رسول الله ﷺ فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أوذي أحد ما أوذيت في الله**»[1].

---

(١) أخرجه الديلمي وأبو نعيم في الحلية، انظر: السلسلة الصحيحة (٥/٢٥٩) (٢٢٢).

فمـــاذا كان فعـــله؟!

قال أبو عبد الله الجدلي: سألت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقال: لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا، ولا صـــخابًا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح [١].

وعن أنس بن مالك ﷺ أن يهودية أتـــت الـــنبي ﷺ بشـــاة مسمومة، فأكل منها، فجيء بها، فقيل: ألا نقتلها؟! قال: «**لا**»[٢].

فهل أصابك ما أصابه؟! وهل نزل بساحتك ما ألم به؟!

أتدري ما قال؟ «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**».

فهل تقتدي به، وتتأسى بفعله؟! فنقول بها لكل مـــن تعـــدى عليك وأضر بك: اذهبوا فأنتم الطلقاء؛ لتنال بركة الاقتداء بخـــير الأنبياء؟!

وتذكر ما وقع للصالحين قبلك؛ كالأنبياء والرســـل والأمثـــل فالأمثل..

ومن ذلك ما رواه عبد الله بن مسعود ﷺ قال: لما قسم النبي ﷺ قسمة حنين قال رجل من الأنصار: ما أراد بها وجه الله! فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فتغير وجهه، ثم قال ﷺ: «**رحمة الله على موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر**»[٣].

---

(١) صحيح سنن الترمذي (٢/١٩٦) (١٦٤٠).
(٢) صحيح البخاري (٣/١٩٦) (٢٦١٦).
(٣) صحيح البخاري (٥/١٢٦) (٤٣٣٥).

وتأمل فعل أعظم من أوذي – وهو الله رب العالمين – يعصونه فيحلم عليهم، ويؤذونه فيرحمهم، ويخالفون أمره فيصبر على ما يأتيه منهم، ويضيعون حقوقه فيلطف بهم، ويتمادون في عصيانه فيغفر لمن شاء منهم، وهو القادر عليهم، الغني عنهم، فهم عبيده الأذلاء بين يديه، الفقراء إليه، لا غنى لهم عنه طرفة عين.

فعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس أحد أو ليس شيء أصبر على أذى سمعه من الله؛ إنهم ليدعون له ولدًا، وإنه ليعافيهم ويرزقهم**»[1].

فلِمَ لا تتخلَّقْ بهذه الصفة الكريمة؛ لتكون من الصفوة العظيمة؟!

فإن أساء أحد إليك، أو تعدى عليك، فهبه لإسلامه، وسامحه؛ لتوحيده، واصفح عنه لدينه، فإنك تجتمع معه تحت راية الإسلام وأركانه العظام، فما أجمل أن نتغافر ونتناصر ونتآزر، ونجتمع بالحب والمودة تحت راية البر والإحسان والتقوى، وما عند الله خير وأبقى!

قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ...﴾ [الشورى: ٤٠].

فإن كنت تبغي بالعقاب تشفيا
فلا تزهدن– عند التجاوز– في الأجر

(١) صحيح البخاري (١٢٥/٧) (٦٠٩٩).

لمـــاذا تعفـــو؟!

لتكون من الرحماء ذوي القلوب الرحيمة الرقيقة الشفيقة، التي تنبض بالإيمان، وتخفق بالرحمة والحنان، فترحم؛ لترحم، وتعطـــف على المسيئين لها، ليلطف الله بها.

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رســـول الله ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»(١).

وعن جرير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما يرحم الله مـــن عباده الرحماء**»(٢).

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا يضع الله رحمته إلا على رحيم، قالوا: كلنا يرحم، قال: لـــيس برحمة أحدكم صاحبه، يرحم الناس كافة**»(٣).

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**لـــن تؤمنوا حتى تراحموا**» قالوا: يا رسول الله! كلنا رحيم. قال: «**إنـــه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة العامة**»(٤).

---

(١) صحيح سنن أبي داود (٣/٩٣٣) (٤١٣٢).
(٢) أخرجه الطبراني في الكبير، انظر: صحيح الجامع (١/٤٦٩) (٢٣٨١) وقال الألباني: حسن.
(٣) أخرجه الحافظ العراقي في الأمالي وابن المبارك في الزهد، انظر: السلسلة الصحيحة (١/٢٧٠) (١٦٧).
(٤) رواه الطبراني، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢/٥٤٨) (٢٢٥٣).

وقد هبت رياحك، فاغتنمها، ويا حبذا ريح الجنة، إني لأجده من دون العفو!

لمــاذا تعفــو؟!

لتنال من دعاء المؤمنين ما يفتح الله لك به فواتح الخير في دينك ودنياك، فما من مسلم يسمع بعفوك إلا ويدعو لك، فتدرك من الخيرات والبركات بدعاء الصالحين ما لا يخطر على بالك ولا يحيط به خيالك، فدعاء المسلم لأخيه في ظهر الغيب مقبول عند الله تعالى، وإنك لن تستمطر بركات الدعوات الصالحات بأفضل من عفوك عمن ظلمك، فالصدور تنشرح له، والقلوب تبتهج به، والألسن تنشط لذكر وشكر من يجود به على غيره.

فعن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة؛ عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه، قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل**»(١).

وعن عمران بن حصين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب لا يرد**»(٢).

وحسبك من إنفاذ عقوبتك واستيفاء حقك أن تحرم من هذا النهر الجاري والغيث المدرار من الدعوات المباركات، وقول القائل: هذا من حقه، ولو عفا لكان خيرًا له!

---

(١) صحيح مسلم (٤/١٦٦٤) (٢٧٣٣).
(٢) رواه البزار، انظر: صحيح الجامع (١/٦٣٧) (٣٣٧٩).

ومن انتقم لنفسه فقد شفى غيظه، وأخذ حقه، ونال مراده، فلم يجب شكره، ولم يحمد في العالمين ذكره، فكن ذكرًا جميلاً، وخبرًا جليلاً، ولا تشف غيظك، فتبور – من الذكر الحسن – أرضك.

والمرء في الدنيا حديث سائر
تقضي الرفاق بها مدى أوقاتها
فاختر لنفسك ما يقال ضحى غد
إذ تطلق الأخبار عند رواتها

لماذا تعفو؟!

لتذوق حلاوة الرضا بالقضاء، وتتلذذ ببرد الإيمان بالقدر، خيره وشره، حلوه ومره، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا يقع في كون الله إلا ما قدره الله تعالى، فالأنفاس معدودة، والأعمار محدودة، والأرزاق مقسومة، والخطوات مكتوبة، فلا تأس على ما فات، لا تفرح بما أتى، ولا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا، وفوِّض أمرك إلى من هو أرحم بك منك، وأعلم بما ينفعك في عاجلك وآجلك، واستعن به، ولا تعجز، وأَرْضِهِ فيما أمرك من أقوالك وأفعالك، يرضيك في كل أمورك وأحوالك.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره؛ حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطاه لم يكن ليصيبه**»[(١)].

(١) صحيح سنن الترمذي (٢/٢٢٧) (١٧٤٣).

وعن زيد بن ثابت ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقـــول: **«لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غـــير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم، ولو كان لك مثل أحد. أو مثل جبل أحد. ذهبًا تنفقه في سبيل الله ما قبله منك حتى تؤمن بالقدر كله، فتعلم أن ما أصـــابكم لم يكن ليخطئك، وما أخطئك لم يكن ليصيبك، ولو مت علـــى غير هذا دخلت النار»**(١).

لمـــاذا تعفـــو؟!

لتنال الأجور المعجلة والمؤجلة لصنائع المعروف، فالعفو مـــن أعظم الصنيعة، وأكرم الجود، وأفضل العطاء.

قال تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُـــونَ قُـــلِ الْعَفْـــوَ... ﴾ **[البقرة: ٢١٩]**.

فبه تحسن الخاتمة، وتطيب العاقبة، وتُتَّقى مصـــارع الســـوء، وتحتمي من الآفات المردية، والهلكات المُطبة، فدونك ميدان العفو، ومضمار الصفح، فلا تسبق فيه، فعند نهايته تقسم العطايا، وتمـــنح الهدايا، فلا تكن من الخوالف.

---

(١) صحيح سنن أبي داود (٣/٨٩٠) (٣٦٩٩) وصحيح سنن ابن ماجه (١/١٩) (٦٢).

فعن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**صدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر، وفعل المعروف يقي مصارع السوء**»(١).

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات والهلكات، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة**»(٢).

لماذا تعفو؟!

فالعفو خاتمة سعيدة، وعاقبة حميدة للخلافات بين المتخاصمين، فبه يتصل ما انقطع، ويجبر ما انكسر، ويرتق ما انفتق، ويردم ما انثلم من العلاقات والوشائج والروابط والأواصر؛ لنكون مجتمعًا متماسكًا، كالبنيان المرصوص، والجسد الواحد، فلا نترك للشيطان وأعوانه فرصةً بأن يفرقوا صفنا، أو يشتتوا شملنا، أو يذهبوا بألفتنا ومحبتنا لبعضنا.

وهي دعوة صادقة لمن جمعتنا بهم رابطة الدين الواحد أن نتسامح ونتصالح ونتصافح، ولنعلن ميلاد يوم جديد، وبزوغ فجر سعيد لعلاقاتنا بإخواننا؛ لنجتمع بهم فغي الدنيا على خير، ثم يكون

(١) أخرجه الطبراني في الصغير والأوسط، والحاكم، انظر: السلسلة الصحيحة (٤/٥٣٥) (١٩٠٨).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، انظر: صحيح الجامع (٢/٧٠٧) (٣٧٩٥).

الاجتماع في يوم الجمع على سرر متقابلين، كما قال الله تعالى عن عباده الصالحين: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٧].

وصلى الله على رسولنا الكريم.

وكتب

عبد اللطيف الغامدي

غفر الله له وتجاوز عنه

جدة (٢١٤٦٨)

ص.ب (٣٤٤١٦)

